إضاءة تاريخية على نماذج من إسهامات الجغرافيين المسلمين في تطور الكتابة الجغرافية
في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين/ أواخر القرن التاسع حتى منتصف القرن العاشر الميلاديين

د.محمد عبده علي محمد صالح *

الملخص

برز في مدة البحث جغرافيون مسلمون أسهموا بنشاطاتهم وخبراتهم ومؤلفاتهم التي انتهجوا فيها النقد والبحث العلمي الجاد في مجالات الجغرافيا المتعددة، ولأول مرة في التاريخ الإسلامي ترسم الخرائط على يد عالمين جليلين هما القاضي وكيع وأبو زيد البلخي، كما كتبوا عن الجغرافيا الوصفية والاقتصادية والجيولوجية.

Abstract

During the period of the study, emerged Muslim geographers them contributed to their activities, experiences them, and writings them in which they pursued criticism and serious scientific research in the various fields of geography, and for the first time in Islamic history, maps were drawn by two venerable scholars, al-Qadi, waKya and Abu Zayd al-Balkhi, and they also wrote about descriptive, economic and geological geography.

* أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المساعد، قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة الحديدة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد الصادق الأمين وصحابته الغر المحجلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يعد علم الجغرافيا من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ، فإذا كان التاريخ يتحدث عن الإنسان فالجغرافيا تتناول المكان، وفي إطار هذه العلاقة ظهرت فروع متعددة كالجغرافيا السياسية والاقتصادية وغيرهما، ليس مهمة البحث حصرها ولكن يكتفي بالإشارة إليها. فلا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر.

استفاد المسلمون في علم الجغرافيا من كتب الجغرافي اليوناني بطلميوس الذي ترجمت كتبه إلى اللغة العربية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، لكنهم طوروا هذا العلم وأضافوا إليه خبراتهم ورحلاتهم التي دونوها في كتبهم وزادوا على ذلك بالصور والخرائط التوضيحية، ويظهر هذا التطور جليًا لدى جغرافيي أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين؛ ولذلك وسمت عنوان هذا البحث بـ (إضاءة تاريخية على نماذج من إسهامات الجغرافيين المسلمين في تطور الكتابة الجغرافية في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين/ أواخر القرن التاسع حتى منتصف القرن العاشر الميلاديين).

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية رحلات الجغرافيين المسلمين وأثرها على المناطق التي وصلوا إليها في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين.
٢- تعدد اتجاهات الدراسات الجغرافية في مدة البحث.
٣- تنوع موارد علم الجغرافيا في زمن البحث.
٤- نشوء مدارس جغرافية في عصر البحث.

مشكلة البحث:

سيحاول البحث الإجابة على السؤال الآتي:

ما هي آثار رحلات الجغرافيين المسلمين على البلدان التي زاروها؟ وما هي أبرز اتجاهاتها ومواردها؟ وماهي إسهامات الجغرافيين في الريادة والتأليف؟

أهداف البحث:

١- توضيح أثر رحلات الجغرافيين المسلمين على المناطق التي وصلوا إليها في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين.
٢- معرفة اتجاهات الدراسات الجغرافية في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين.
٣- إعطاء صورة عن موارد علم الجغرافيا بدءاً من تداخله مع العلوم الأخرى حتى استقلاله في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين.
٤- إبراز المدارس الجغرافية التي ظهرت في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين وروادها ومؤلفاتهم.

منهجية البحث:

اتبع البحث منهجين علميين، الأول: المنهج التاريخي باستقصاء المعلومات من مصادرها الأصلية وتحليلها، والثاني: المنهج الوصفي بوصف إسهامات الجغرافيين ونشاطاتهم العلمية والمدارس التي أسسوها.

مسار البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. تناولت المقدمة، أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث وأهدافه ومنهجه ومساره، وتناول المبحث الأول أثر الرحلات الجغرافية في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين. بينما تطرق المبحث الثاني إلى اتجاهات الدراسات الجغرافية ومواردها في زمن البحث. وعرض المبحث الثالث لنماذج من الجغرافيين المسلمين ومؤلفاتهم والمدارس التي إنشاؤها في مدة البحث. وأظهرت الخاتمة النتائج التي توصل إليها البحث. وكتابة قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

المبحث الأول: أثر الرحلات الجغرافية

الجغرافيا: كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض، وهذا العلم عند العرب المسلمين يُطلق عليه علم مسالك[١] البلدان أو تقويم البلدان[٢]،أو المسالك والممالك[٣]، ويُقصد به: معرفة أحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى أقاليم ومدن وجبال وبحار وأنهار ومعرفة مقدارها في الطول والعرض على مر الدهور والأزمان، وما يختلف حال السكان باختلافه[٤]. أي تأثير المكان على السكان.

كانت الرحلات من أول السبل لطلب العلم آنذاك، وكان بعض هؤلاء الباحثين يدونون مشاهداتهم؛ لينتفع غيرهم بتجاربهم؛ فيصفون رحلاتهم؛ ليزودوا أقرانهم وغيرهم بمعلومات مهمة عن الطرق التي سلكوها والأحداث التي صادفوها. وكذلك كان الحج من أعظم بواعث الرحلات، فإن ألوف المسلمين يتجهون كل عام من شتى أنحاء العالم الإسلامي إلى بلاد الحجاز؛ لتأدية فريضة الحج وزيارة قبر النبيﷺ. وعند عودتهم إلى بلادهم يعرضون لذويهم وولاتهم وصفاً جغرافياً بالطرق التي سلكوها والمشاكل التي صادفتهم أثناء رحلاتهم؛ ليتم تفاديها في موسم الحج القادم. واتسع نطاق التجارة عند المسلمين؛ لاتساع المناطق التابعة للدولة الإسلامية[٥].

---

(١) مسالك: جمع مسلك، وهو الطريق المستوي . ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م). **لسان العرب**، (دار صادر، بيروت، ط١٣٠٠،١هـ ١٨٨٣م)، جـ١٠، ص٤٤٣.

(٢) ينظر: حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧ هـ/١٦٥٧م). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،(د.ت)، مجـ١، ص٥٩٠، ؛ أحمد فؤاد باشا. **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، (دار المعارف، مصر، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص١١٠.

(٣) الممالك: جمع مملكة، وتعني المدن والأقاليم أو الدول. ينظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ /١٤١٤م). **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص٩٥٤.

(٤) ينظر: الإصطخري، أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي(ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري). **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبدالعال، مراجعة: محمد شفيق غربال، (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٣٨١هـ -١٩٦١م)، ص١٥ ؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م). **كتاب صورة الأرض**، (دار صادر، بيروت، " د. ت"، مطبعة بريل، ليدن، ط٢، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م)، جـ١، ص١ ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مجـ١، ص٥٩٠.

(٥) ينظر: حميدة، عبدالرحمن. **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، (دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ص٤١-٥٨.

بدأ المسلمون في القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) يؤلفون في تقويم البلدان، ويصفون أجزاء الدولة العربية الإسلامية وما يجاورها من الأقاليم، فكان أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي(ت٢٧٤هـ/٨٨٧ م) أول من صنف كتاباً في الجغرافيا الطبيعية والوصفية وذلك في كتابه المسمى(المسالك والممالك)[١]. وامتاز الجغرافيون في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بأن معظمهم كانوا رحالة، جمعوا كثيراً مما كتبوه بوساطة المشاهدة والاختبار والأسفار[٢].

فاليعقوبي[٣] توفي قبيل نهاية القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) بعد أن قام برحلات طويلة في أرمينية وبلاد فارس والهند ومصر وبلاد المغرب. وقد أفاد من هذه الرحلات فيما كتبه في التاريخ والجغرافيا. وذكر ذلك في مقدمة (كتاب البلدان) من خلال تحديد المسافات بين البلدان والبحث والتقصي عن المعلومات في المناطق التي ذهب إليها وسؤال أهلها[٤].

كان للرحلات العلمية العربية الإسلامية أثرها المتميز في نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى بلاد البلغار[٥] والمنـــاطق الـــمجاورة لها –

(١) ابن الساعي، علي بن أنجب(ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م). **الدر الثمين في أسماء المصنفين**، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشى، (دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٣٠-٢٠٠٩م)، ص٣١٤-٣١٥.

(٢) حسن، زكي محمد. **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، (دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠١ه-١٩٨١م)، ص٣٥ ؛ شريف، م. م. **الفكر الإسلامي منابعه وآثاره (مآثر المسلمين في مجال الدراسات العلمية والفلسفية)**، ترجمة وتعليق وإضافة: أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية لأحمد شلبي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، ص٦٧.

(٣) هو أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، مؤرخ وجغرافي عباسي، من مؤلفاته: كتاب(التاريخ الكبير)، وكتاب(أسماء البلدان)، وكتاب(أخبار الأمم السالفة). ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢، ص٥٥٧.

(٤) ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(ت بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م). **كتاب البلدان**، نشره: أنطونيو موتشلينسكي، (مطبعة بريل، ليدن،١٢٧٧ه-١٨٦٠م)، ص٢-٤ ؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص٣٥-٣٦.

(٥) البلغار: هي دولة الصقالبة، وتطلق كلمة البلغار على الشعب وعلى البلاد، وعلى عاصمتها، وهي شديدة البرودة صيفاً وشتاءً، والبلغار هم الشعب الذي أسس في بداءة العصور الوسطى دولتين: أقدمها في حوض الفولجا الأوسط(أو نهر أتل كما تسميه المصادر العربية)، والأخرى في حوض الطونة. والأولى هي التي زارها ابن فضلان وانتشر فيها الإسلام. ودولة البلغار تقع شرقي نهر الفولجا، والتي لا يزال بعض أطلالها قائماً على مقربة من مدينة قازان الحالية وعلى نحو ستة كيلومترات من شاطئ الفولجا الأيسر. ينظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م). **معجم البلدان**، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م)، مجـ١، ص٤٨٥-٤٨٨ ؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص ٢٦.

وهي مـناطق نـائية عن مركـز الخلافة العباسية – فضلاً عن دور التجار العرب والمسلمين في هذا الجانب(١).

وتعد رحلة ابن فضلان(٢) التي قام بها سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م إلى بلاد البلغار رسولاً من الخليفة العباسي المقتدر بالله مرجعاً لا نظير له في الأهمية ألقت أضواءً على المرحلة التي زار فيها تلك البلاد، استجابة لطلب ملك البلغار. وكان إسلام البلغار الذي سبق هذه الرحلة حدثاً عظيماً في تاريخ المنطقة آنذاك؛ لأن حوض الفولجا الأوسط تحوَّل إلى قطر إسلامي بعدها(٣).

انتشر الإسلام في بلاد البلغار على المذهب الحنفي، وهو مذهب الخلافة العباسية ومذهب معظم أتراك آسيا الوسطى، ودخلت دولة البلغار في حوزة الحضارة العربية الإسلامية مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولما كان الإسلام يحمل نظماً حضارية راقية، فإن اعتناق البلغار له جعل منهم أكثر شعوب أوروبا الشرقية حضارة؛ مما أدى إلى زيادة الصلات بين البلغار والعالم الإسلامي في شتى المجالات، وصارت دولة البلغار ممثلة للإسلام في شرق أوروبا، فأنشأت المساجد وأسس القضاء، وانتشرت الأسماء والكلمات العربية انتشاراً واسعاً(٤).

المبحث الثاني: اتجاهات الدراسات الجغرافية ومواردها

شهدت الدراسات الجغرافية عدة اتجاهات، فمنها ما اهتم بالجغرافيا التاريخية(علم تخطيط البلدان)، ومنها ما اتجه إلى ما نسميه اليوم بالجغرافيا الاقتصادية أو إلى ما نطلق عليه الجغرافيا السياسية(استراتيجية المكان من حيث القوة أو الضعف)، ومنها ما فصّل الكلام عن نظام البريد في عصر الخلافة، ونظام الضرائب في كل منطقة، إضافة إلى ذلك اهتمت بعض

(١) ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد. **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة٣٠٩ه/٩٢١م**، تحقيق: سامي الدهان،(المطبعة الهاشمية، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٩ه-١٩٦٠م)، ص٦٧؛ الشمري، محمد كريم إبراهيم. **الحوار العربي الإسلامي مع شرق أوروبا وتأثيراته من خلال رحلة أبي حامد الغرناطي**، (مجلة العميد للأبحاث والدراسات الإنسانية، كربلاء- العراق، العددان الأول والثاني، شهر رمضان ١٤٣٣هـ/ شهر أيلول ٢٠١٢م)، ص٤٤١.

(٢) هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد(ت بعد٣١٠هـ/٩٢٢م)، فقيه وجغرافي، كان جده من موالي محمد بن سليمان الحنفي – قائد عسكري في فتح مصر- ثم أصبح من موالي الخليفة العباسي المقتدر بالله(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، له كتاب (الرسالة) والمشهورة بـ(رسالة ابن فضلان). ينظر: الزركلي، الأعلام، جـ١، ص١٩٥-١٩٦.

(٣) ابن فضلان، رسالة، ص٦٧ ؛ الشمري، الحوار العربي، ص٤٤١.

(٤) ابن فضلان، رسالة، ص٦٧ ؛ الشمري، الحوار العربي، ص٤٤١.

الدراسات بالمناخ وغيره من العوامل الطبيعية وهو ما يعرف الآن بالجغرافية الطبيعية، ودراسات أخر اهتمت بالمناجم والمعادن وهو ما نسميه اليوم بالجغرافيا الجيولوجية[١]. ويلاحظ أن كثيرًا من الجغرافيين في هذا العصر – مدة البحث- هم مؤرخون في الوقت نفسه مثل البلخي والمسعودي، بينما اشتمل كثير من المصنفات التاريخية على فصول مهمة في الجغرافيا. ويتبين أنهم كانوا يدركون الفارق بين هذين النوعين من التأليف إدراكاً واضحاً، على أن هذا الاتصال بين التاريخ والجغرافيا ظل قائما حتى في المؤلفات الجغرافية ذاتها التي كانت تكتب بأسلوب يتفاوت من كاتب لآخر. وقد استقيت هذه المعلومات من موارد متعددة . فالشعر العربي القديم أعطى تصوراً ما للأحوال الجغرافية لجزيرة العرب، واهتم اللغويون في مؤلفاتهم بضبط الأماكن التي وردت فيها. ثم ظهرت كتب الفتوح التي أوردت معلومات جغرافية واقعية عن المناطق التي فتحها المسلمون، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب الفتوح لابن أعثم (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) والذي ذكر فضائل المدن والبلدان المختلفة مثل المدينة وبيت المقدس والشام ومصر واليمن، ووصفاً جغرافياً لها وأبرز المناطق فيها[٢].

ومن الكتب المفيدة في علم الجغرافيا كتب الخراج، ولأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (٣٢٨ه/٩٣٩م) مؤلف في هذا الموضوع، عرض فيه لنظام البريد ثم وصف الأرض وصفاً عاماً يعنى فيه ببلاد الإسلام وما يجبى منها من مال. وبعد وصف الأمم الأجنبية المجاورة وبلادها ينتقل إلى إدارة الأموال العامة ونظام الجباية وقانون الإدارة. وفيه تاريخ مختصر للفتوح يرى بروكلمان[٣] أن قدامة نقل ما يتعلق بالفتوح من كتاب البلاذري (فتوح

(١) شريف، الفكر الإسلامي، ص٦٧-٦٨.

(٢) ينظر: ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ه/٩٢٦م). **كتاب الفتوح**، تحقيق: علي شيري، (دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١،١٤١١هـ-١٩٩١م)، الجزء الخاص بالفهارس، ص١٤٦-١٤٩.

(٣) هو كارل بروكلمان Carl Brocklmann (١٨٦٨-١٩٥٦م)، مستشرق ألماني، ولد في١٧ سبتمبر١٨٦٨م في مدينة روستوك الألمانية، عين أستاذاً في جامعات ألمانية عديدة منها: برسلاو (١٨٩٣- ١٩٠٣م)، وكتب بالعربية وبالتاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، وأصبح أستاذاً لها في جامعات أوروبية عدة، وانتخب عضواً في مجامع وجمعيات أوروبية وعربية عدة، منها المجمع العلمي العربي بدمشق، اشتهر بغزارة وشمولية انتاجه الفكري، فقد بلغت مؤلفاته ومقالاته وبحوثه وتحقيقاته المئات، مما جعله مرجعاً لكثير من الباحثين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي، تحقيق ونشر المجلد الثامن من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (ليدن ١٩٠٤م) ، من أبرز مؤلفاته: (تاريخ الشعوب الإسلامية) الذي ترجم من الألمانية إلى عدة لغات منها، الإنجليزية سنة ١٩٤٧م، والفرنسية، والعربية، (تاريخ الأدب العربي). ينظر: العقيقي، نجيب. **المستشرقون**، (دار المعارف، القاهرة،=

البلدان)[١]. وله كتاب (البلدان)[٢]. وفي هذا الصدد – أيضاً - صنف أبو علي عبدالرحمن بن الجراح كتاب (الخراج) وهو كتاب كبير لم يتمه[٣].

من المسائل المهمة التي تمثل أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين خاصة والعصر الإسلامي عامة ظاهرة تداخل العلوم فيما بينها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عرض كراتشكوفسكي[٤] لنماذج من كتاب (الزيج الصَّابئ) للبتاني[٥]– وهو عبارة عن جداول فلكية- تتعلق بالجغرافيا الوصفية قدّم فيه وصفاً عاماً للأرض ويختص بالتفصيل عن البحار والجزر[٦].

=ط٥، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م)، جـ٢، ص٤٢٤-٤٣٠ ؛ بدوي ، عبدالرحمن. **موسوعة المستشرقين،** (دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م)، ص٩٨- ١٠٥.

(١) بروكلمان، كارل (ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م). **تاريخ الأدب العربي،** ترجمة: عبدالحليم النجار، (دار المعارف، القاهرة ، ط٥،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، جـ٤، ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) الزركلي، الأعلام، جـ٥، ص١٩١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٣، ص٣٩٩ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ١٨، ص١٢٧.

(٤) هو أغناطيوس يوليانوفتش Ignatij Julianovic Krackovskij (١٣٠١-١٣٧١هـ/١٨٨٣-١٩٥١م)، مستشرق روسي، من أبرز المستشرقين الروس المختصين بالدراسات العربية الإسلامية، ولد في ٧جمادى الأولى ١٦ مارس في مدينة فلنا Wilna عاصمة لتوانيا، تأثر بوالده مدرس اللغات الأوروبية وتاريخ حضارة الغرب، فأتقن الأوزبكية أثناء إقامتهم في طشقند عاصمة المقاطعات الإسلامية التابعة لروسيا، ثم عاد مع والده إلى فلنا حيث انكب على القراءة في مكتبة جده بالريف، درس الإعدادية والثانوية في فلنا وقرأ في مكتبتها مؤلفات المستشرقين، والتحق في سنة١٣١٨هـ/ ١٩٠١م بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبرج، فدرس العبرية على يد كولو فكوف، وتاريخ الشرق الإسلامي على يد المؤرخ الروسي بارتولد، وتاريخ الأدب العام على يد فسلوفسكي وأنطون خشاب، كانت رسالة بحثه الجامعية بعنوان (خلافة المهدي العباسي وفقاً لمصادر عربية)، ساهم في تحقيق ونشر عدد كبير من المخطوطات العربية في الأدب والشعر، زار عددا من البلاد العربية واطلع على مكتباتها وتعرف على علمائها وأدباءها، تجاوزت كتاباته٤٥٠ مؤلفاً، لعل من أبرزها: (دراسة في إدارة الخليفة المهدي)،(نشأة وتطور الأدب العربي الحديث)، (تاريخ الدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي)، (تاريخ الأدب الجغرافي العربي)،(جغرافية الجزيرة العربية في تصورات الأقدمين). ينظر: العقيقي، المستشرقون، جـ٣، ص٨٣-٩٠ ؛ فوك، يوهان. **تاريخ حركة الاستشراق- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين،** ترجمة: عمر لطفي العالم، (دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١٤٢١،٢هـ-٢٠٠١م)، ص٣١٧-٣١٩ ؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٦٨-٤٧١؛ يحيى مراد. **معجم أسماء المستشرقين،**(د. م)، (د. ت)، مكتبة د. محمد أحمد الكامل الإلكترونية، (منزل من الرابط التالي:www.kotobarabia.com). ص٨٧٣-٨٨٠.

(٥) نسبة إلى قرية بتَّان وهي من نواحي حرّان، وهو أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان الحراني(ت٣١٧ه/٩٢٩م) رياضي وجغرافي وفلكي. ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ٣، جـ٧، ص٢٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص٣٣٤.

(٦) ينظر: أغناطيوس يوليا نوفتش(ت١٣٧٠ه/١٩٥١م). **تاريخ الأدب الجغرافي العربي،** ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الدول العربية، القاهرة،١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م)، جـ١، ص١٠٦- ١١٠.

المبحث الثالث: إسهامات الجغرافيين ومدارسهم

أسهم اليعقوبي في رفد المكتبة العربية في علم الجغرافيا الوصفية بكتابه(البلدان) الذي قدَّم فيه دراسة وصفية عن البلدان التي زارها أرمينية وبلاد فارس والهند ومصر وبلاد المغرب وعن أهلها ولباسهم وعاداتهم الاجتماعية ومعتقداتهم وطقوسهم الدينية(١).

يعد وكيع القاضي(٢) ممن أسهم في علم الجغرافيا في مدة البحث، الذي أثنى عليه ابن النديم(٣) فذكر بأن وكيعًا القاضي كان مُفْتَناً في جميع العلوم. ويبدو أن من هذه العلوم التي برع بها علم الجغرافية الوصفية أو علم الخرائط وهو ما يسمى حديثاً بـ(أطلس)، ومن مؤلفاته في هذا العلم: كتاب (المُسافر)(٤) وهذا الكتاب يحتمل أن يكون بمثابة الخريطة والدليل للمسافرين لأداء مناسك الحج والعمرة ويدخل في إطار الجغرافية الوصفية. وكتاب (الطريق) ويعرف أيضًا بـ(النواحي) وقد خصص هذا الكتاب لأخبار البلدان ومسالك الطريق للمسافرين إلى مناطق وبلدان أخرى؛ لغرض العلم أو التجارة أو غير ذلك ولكنه لم يتم هذا الكتاب(٥).

وللقاضي وكيع كتاب بعنوان (الأنواء)(٦) وهذا الكتاب يدخل في علم الفلك وأيضاً في علم الجغرافيا الطبيعية . وعن فصول السنة الأربعة صنف أبو بكر الرازي(٧) كتابًا في (الخريف والربيع) ولعله تناول فيه الأمراض التي

---

(١) ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص٣-٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢، ص٥٥٧.

(٢) أبو بكر محمد بن خلف بن حيّان الضَّبِّي، مفسر وفقيه وقاض ومؤرخ وجغرافي، من أشهر مؤلفاته: كتاب(أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم)، توفي سنة٣٠٦هـ/٩١٨م. ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م). **كتاب الفِهْرِسْت**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، مجـ١، جـ٣، ص٣٥٣.

(٣) الفهرست، مجـ٢، جـ٣، ص٣٥٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، مجـ٢، جـ٣، ص٣٥٣.

(٥) ابن النديم، الفهرست، مجـ٢، جـ٣، ص٣٥٣؛ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م). **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانِها العلماءِ من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)**، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، مجـ٣، ص١٢٧.

(٦) ابن النديم، الفهرست، مجـ٢، جـ٣، ص٣٥٣ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م). **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، جـ٣، ص٣٧.

(٧) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف وطبيب وصيدلي وكيميائي نبغ في كل تلك العلوم، من أشهر مؤلفاته: كتاب(الحاوي) في الطب، توفي سنة٣١٣هـ/٩٢٥م. ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ٣، جـ٧، ص٣٠٧.

تنتشر في هذين الفصلين[١]. كذلك أبو بكر بن السراج[٢] له كتاب (الرياح والهواء والنار)[٣]، وهذا الكتاب يدخل في إطار علوم الطبيعة.

ويدخل الفصل السادس من كتاب(الزيج)[٤] أو ما يطلق عليه الباحثون(الزيج الصَّابئ)[٥] للبتاني في الجغرافيا الوصفية، فالبتاني في هذا الفصل يقدم وصفاً عاماً للأرض ويخص بالتفاصيل البحار، وبفضل ترجمة أفلاطون التيفولي[٦] لوصف البتاني للبحار والجزر صار هذا الوصف معروفاً لأوروبا بل أن المعلومات التي أوردها البتاني عن المحيط الهندي انتشرت في أوروبا وكانت معلومات البتاني المصدر الوحيد لأوروبا عن هذا المحيط، ويبدو أن معاصري البتاني استفادوا من الجغرافية الوصفية التي جاء بها هذا الفصل كالمسعودي وغيره، كما يوضح البحث ذلك لا حقًا عند الحديث عن المسعودي[٧].

ونشطت حركة التأليف الجغرافي في بغداد وما حولها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فقامت نتيجة لذلك مدرسة جغرافية مؤسسها أبو زيد البلخي[٨] مؤلف كتاب(صور الأقاليم) أو يسمى(كتاب الأشكال)[٩]، وهو في أساسه كتاب خرائط. ويرى المستشرق كرامرز أن هذا الكتاب ربما أُلِّف على أساس أنه كتاب أطلس إسلامي أقدم تأليفاً[١٠]. ويشمل هذا الكتاب أو الأطلس في تسلسل منظم مصورات أو خرائط للعالم والجزيرة العربية ولبحر فارس

(١) ابن النديم، الفهرست، مجـ٣، جـ٧، ص٣٠٨ ؛ ابن الساعي، الدر الثمين، ص١٧٨.
(٢) أبو بكر محمد بن السَّريّ بن سهل البغدادي، مقرئ ونحوي وشاعر وجغرافي، توفي سنة ٣١٦ه/٩٢٨م. ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص١٨١-١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٦، ص٢٥٣٥-٢٥٣٦.
(٣) ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص١٨٢ ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٦، ص٢٥٣٦.
(٤) ابن النديم، الفهرست، مجـ٣، جـ٧، ص٢٤٩ ؛ ابن الساعي، الدر الثمين، ص١١٤.
(٥) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٠٦؛ صالحية، محمد عيسى. **المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع**، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤١٥ه- ١٩٩٥م)، جـ١، ص١٤٢، ١٤٣.
(٦) Platon diTivoli(١١٣٤-١١٥٤م/٥٢٨-٥٤٨هـ)، رياضي وفلكي ومترجم إيطالي، عاش في برشلونة بأسبانيا، من أعماله: ترجم رسالة ابن الصفار في الاسطرلاب، وترجم زيج البتاني بعنوان(علم النجوم). ينظر: العقيقي، المستشرقون، جـ١، ص١١٤.
(٧) للاطلاع على نص البتاني الذي جاء في مقدمة الفصل السادس ينظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٠٦– ١٠٩.
(٨) هو أحمد بن سهل، طبيب وأديب وشاعر ومؤرخ وجغرافي وفلكي، من كتبه: (صناعة الشعر)، توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م . ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٣، ص٤٢٩.
(٩) الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: دي خويه، (مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٢٨٦ه-١٨٧٠م)، ص٣٤٨.
(١٠) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٧.

والمغرب ومصر والشام وبحر الروم، كما يشمل أربعة عشر مصوراً آخر لأنحاء من أواسط العالم الإسلامي وشرقه[١]. وهذا الكتاب- بحسب ما ذكره المستشرق ماسينيون في مجلة العالم الإسلامي يونيو ١٩٠٩م – محفوظ في مكتبة كليد دار (حامل المفتاح) الإمام الحسين بكربلاء، وقد ألفه أبو زيد في بلخ سنة ٣٠٨ه/٩٢٠م فأسس بذلك المدرسة القديمة للجغرافيا العربية[٢] والتي عُرفت بـ(المدرسة البلخية)[٣]. وكتاب (مسالك الممالك) الذي صنفه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي في حدود سنة ٣٢٠ه/٩٣٢م نسخة موسعة من كتاب أبي زيد البلخي السابق ذكره[٤]. وقد أصبح كتاب أبي زيد الأساس الذي أقام عليه الجغرافيون من بعده كتبهم[٥]. واعتمد الاصطخري الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) في تصنيف مؤلفيه: (كتاب الأقاليم) و(المسالك والممالك) على رحلاته لطلب العلم والمعرفة في الآفاق الإسلامية وعلى ما نقله عن كتاب(صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي . وقد وضح الاصطخري كتابه الأول بالخرائط[٦]. وكان أبو دلف الخزرجي[٧] كثير السفر والترحال، يدون ما يشاهده في البلدان التي زارها وما اطلع عليه من عادات وتقاليد شعوبها[٨]، وهو صاحب كتاب(عجائب البلدان)[٩].

(١) جمال الفندي. **الجغرافيا عند المسلمين**، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١٤٠٢،١هـ-١٩٨٢م)، ص٣٢.

(٢) نقلاً عن : بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٧ ؛ جمال، الجغرافيا عند المسلمين، ص١٢٥.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن المدرسة البلخية ينظر: جمال، الجغرافيا عند المسلمين، ص١٢٥-١٣٤.

(٤) الإصطخري، المسالك والممالك، (تحقيق: دي خويه)، ص٢، ٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٧.

(٥) ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، (تحقيق: دي خويه)، ص٢، ٤ ؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٧.

(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، (تحقيق: دي خويه)، ص٢،٣٤٨ ؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص٣٦.

(٧) هو مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي، شاعر وجغرافي، عاش أديباً جوالاً في بلاط نصر الثاني بن أحمد الساماني(٣٠١-٣٣١ه/٩١٣-٩٤٢م) ببخارى. ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، جـ٣، ص٤١٣-٤٣٦ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٣، ص٤٤٠-٤٤٨ ؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٥.

(٨) الثعالبي، يتيمة الدهر، جـ٣، ص٤١٤.

(٩) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٥.

لعل أشهر مؤرخي وجغرافي هذا العصر المسعودي، وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٥ه/٩٥٦م) الذي ولد في بغداد من أسرة تنتسب إلى الصحابي الجليل عبدالله بن مسعودﷺ[١]. سمع في بغداد من نفطويه وابن زَبْر القاضي وغيرهما. ورحل إلى البصرة فلقي بها أبا خليفة الجمحي وأخذ عنه[٢]. ولم تذكر المصادر إلا القليل عن حياته. ويحتمل أن يكون المسعودي قد بدأ رحلاته بمنطقة خوزستان المجاورة لبلاد العراق فتجول فيها، واطلع على بعض العجائب[٣]، وأخذ عن علمائها[٤].

ثم انتقل إلى بلاد فارس فوصلها أوائل سنة ٣٠٣ه/٩١٥م، وأخبرنا أنه كان في هذه الفترة بمدينة اصطخر، ورأى عند بعض أهل البيوتات ذات الوجاهة والمكانة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم بما فيها الجوانب العمرانية والإدارية والسياسية من حياتهم، وأن قيمة هذا الكتاب– من وجهة نظر المسعودي- أنه تفرد بذكر معلومات لم تذكرها المصادر الأخرى التي أرخت للتاريخ الفارسي القديم[٥]. ورأى في هذه المدينة – أيضًا- أحد بيوت النار الفارسية القديمة والذي صار لاحقاً يعرف عند الناس بمسجد النبي سليمان بن داود عليه السلام، فدخله المسعودي، وقدَّم عنه وصفاً متكاملاً[٦]. ثم يحدثنا المسعودي أنه كان قد رأى في مدينة جور من أرض فارس بيتاً آخر من بيوت النار[٧].

(١) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ه/١٢٢٩م). **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١٤١٣،١هـ- ١٩٩٣م)، جـ٤، ص١٧٠٦،١٧٠٥.

(٢)السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، (دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م)، جـ٣، ص٤٥٦ ؛ ابن تغري بردي، أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت٨٧٤ه/ ١٤٦٩م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ه- ١٩٩٢م)، جـ٣، ص٣٦٠.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦ه/٩٥٧م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، عناية ومراجعة: كمال حسن مرعي،(المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، جـ١، ص١٩٤، جـ٢، ص٥٠.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦ه/٩٥٧م). **التنبيه والإشراف**، طبعة جديدة منقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث، (دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ص١١٢.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٠٨.

(٦) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص١٩٦-١٩٧.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص١٩٧.

ونظراً لحديثه عن قصبة[١] – عاصمة - إقليم فارس وهي مدينة شيراز وعن مدينة كوار بكثير من التفاصيل فيحتمل أنه قد زارهما[٢]. وزار مدينة سيراف[٣]، وهي مدينة ساحلية تقع بين جبل وبحر[٤]. ثم انتقل إلى منطقة كرمان، فتحقق من بعض المسائل الجغرافية التي تهمه[٥]، واطلع على بعض الكتب التاريخية فيها[٦]. ومن كرمان توجه إلى منطقة سجستان المجاورة، فتجول فيها، وأخذ عن بعض علمائها[٧].

والظاهر أنه لم يلبث هناك طويلاً، فسافر إلى الهند وزار ملتان سنة ٣٠٣ه/٩١٥م وكان ملك المولتان وقت دخول المسعودي إياها أبو اللهاب المنبه بن أسد القرشي السامي[٨]. ومن المولتان تحول المسعودي جنوباً إلى مدينة المنصورة[٩] في عهد مليكها أبي المنذر عمر بن عبدالله القرشي، ورأى فيها وزيره رباحاً، وابنيه محمداً وعلياً، وبعض العرب القاطنين فيها[١٠]. ويقدر المسعودي المسافة بين المولتان والمنصورة بدقة بالغة، مما يؤكد لنا قطعه إياها، ثم يقدم لنا وصفاً ممتعاً لمدينة المنصورة، ضياعها وزروعها وسكانها، وما يستخدمه ملوكها من أنواع الفيلة الحربية والعَمَّالة[١١].

وفي أواخر سنة ٣٠٣ه/٩١٥م كان المسعودي بالهند يحدثنا عن مشاهداته في مدينة كنباية الواقعة على الساحل الغربي للهند، واهتمام ملكها

---

(١) القصبة: تعني المدينة ولها معنى آخر هو وسط البلاد، قصبة القرية هي وسطها، وقصبة البلاد هي مدينتها وتعني العاصمة؛ ولأن شيراز تقع وسط بلاد فارس أطلق عليها قصبة بلاد فارس، وربما تكون العاصمة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٣، ص٣٨٠ ؛ ابن منظور، لسان العرب، مجـ١، ص٦٧٦-٦٧٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص١٩٧.

(٣) هي مدينة صغيرة من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان، كانت قصبة كورة أردشير خُرَّه، بينها وبين شيراز ٣٠٠كم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٣، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٦٠.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٧٤.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٨٣.

(٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١١٢.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٣٠.

(٩) المقصود بها المدينة المعروفة حالياً باسم(صورة) في الهند، لا المدينة المعروفة حالياً في مصر، وهي بمصر عاصمة بمحافظة الدقهلية، أما المدينة الهندية (المنصورة)أو (صورة) فقيل هي نسبة إلى الخليفة المنصور، ولعل الرأي الراجح أنها نسبة إلى والي الأمويين على هذه المدينة وهو الوالي اليمني منصور بن جمهور الكلبي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٥، ص٢١١؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مجـ١، جـ٢، ص١٧٧ ؛ حسين محمد نصار وآخرون. **الموسوعة العربية الميسرة**، (المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، جـ٦، ص٣٢٣٤.

(١٠) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٣٠.

(١١) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٣٠-١٣١.

البرهمي بمناظرة من يرد إلى بلاده من المسلمين وغيرهم من أصحاب الملل، ثم عرض لنا وصفاً جغرافياً للمدينة[١].

وزار المسعودي في أوائل سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م مدينة صيمور الهندية على الشريط الساحلي أيضاً، ورأى هناك بعض عوائد الهند التي اشتهروا بها، كتعذيبهم لأنفسهم بالنار[٢]، وسجل بعض المظاهر الجغرافية والمناخية التي تمتاز بها هذه المنطقة[٣]. كما لاحظ نوعية وأجناس السكان القاطنين في المدينة وتركيبهم الاجتماعي، وأجرى احصائيات تقديرية لعدد السكان المسلمين عبر استخدام طريقة المسح الميداني، فكانت نتائج هذا الرصد أن بهذه المدينة حوالي عشرة آلاف مسلم بياسرة[٤] وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم ولعل هذه أول إحصائية سكانية عن التعداد السكاني للمسلمين في هذه المنطقة . وذكر المسعودي أن الملك يملك على المسلمين رجلاً من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة إليه[٥].

وتابع المسعودي رحلته من الهند إلى جزيرة سرنديب(سيلان[٦]) فشاهد هناك مراسم دفن الملوك، وعادات أهل تلك الجزيرة[٧]. وواصل من هناك إلى مملكة الزابج[٨]، وهي مملكة المهراج – وهي مقسمة اليوم بين دولتي ماليزيا وإندونيسيا- والتي كانت تشمل جزيرتي سومطرة[٩] وجاوه[١٠]، ومناطق

(١) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٩١-٩٢.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٦٠.
(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٠٧-٢٠٨.
(٤) البياسرة جمع بيسر، وهم الذين ولدوا من المسلمين بأرض الهند. المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٦٠.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٦٠.
(٦) هي جزيرة في المحيط الهندي تقع على بعد ٣٢كم من الساحل الجنوبي الشرقي للهند وتعرف اليوم باسم سريلانكا(وسريلانكا تعني الأرض اللامعة أو المتألقة) وعاصمتها كولومبو، واسمها الرسمي جمهورية سريلانكا الديمقراطية الاشتراكية . ينظر: الشويخات، أحمد مهدي محمد وآخرون. **الموسوعة العربية العالمية**، (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، جـ١٢، ص٢٤٨-٢٥١.
(٧) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٦٧.
(٨) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٠.
ي(٩) تقع جزيرة سومطرة في أقصى غربي الجزر الإندونيسية الرئيسية وذلك إلى الشمال الغربي من جزيرة جاوه وإلى الجنوب الغربي من شبه جزيرة الملايو ويبلغ طولها ألف وسبعمائة كيلومتر وأقصى عرض أربعمائة كيلو متر ويمر خط الاستواء بالقرب من وسطها. ينظر: الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، جـ١٣، ص٢٦٨-٢٧٢.
(١٠) علي، محمد كرد. **كنوز الأجداد**، مقال في: مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٦٦هـ-١٩٤٦م، مجـ٢٢، الجزأين التاسع والعاشر، ص٣٩١. وتقع جاوة بين سومطرة من الغرب وبالي من الشرق أما من الشمال فبحر جاوه، وفي الجنوب المحيط الهندي الذي يسميه الإندونيسيون المحيط=

ويبدو أنه لم يمكث طويلاً، بل مر مروراً سريعاً عبر بحر الصنف – بحر الصين- الذي أثبت وصفاً مجملاً له في كتاب المروج[١]. ثم اتجه إلى عمان وزار اليمن، وفي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م وصل حلب[٢]، وعاد إلى العراق سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م حيث كان في مدينة تكريت بالذات، حيث ذكر أنه جرت بينه وبين أبي زكريا دنخا النصراني[٣] مناظرات كثيرة في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره[٤].

ويرى كراتشكوفسكي أنه من المحتمل أن يكون المسعودي قد زار في هذه الرحلة الصين وأرخبيل الملايو، ويتفق الباحث مع وجهة نظر كراتشكوفسكي والدليل المادي على ذلك هو وصفه لتلك المناطق وورود معلومات في توثيقه لرحلته لم ترد من قبل، وهذا – أيضًا – ما أكده كراتشكوفسكي الذي تطابق رأيه مع هذا البحث إذ يشيد كراتشكوفسكي بتوثيق المسعودي في كتبه لتاريخ زياراته لأماكن معينة لم يزرها أحد قبله؛ ولهذا تعتبر المعلومات الواردة في كتب المسعودي بهذا الصدد هي المادة الخام والأولية للكتابات الجغرافية التي جاءت بعده[٥].

ويعد المسعودي من المؤلفين ذوي الثقافة المتنوعة، ولم يهتم بالجغرافيا والتاريخ فحسب، بل اهتم كذلك بعلوم الدين والأخلاق والسياسة وعلوم اللغة، ولكن معظم جهده كان في الجغرافيا والتاريخ. ورغم أن الدقة والعمق لم تتوافرا لديه دائما، فإننا ندين له بمجموعة من الأخبار القيمة حول البلاد الإسلامية وبمعلومات مهمة من مصادر مفقودة، لا نجدها إلا عند المسعودي[٦]. وقد أشاد

=الإندونيسي ويبلغ أقصى امتداد من الشمال إلى الجنوب نحو ٢٠٠كم ومن الشرق إلى الغرب أكثر من ألف كيلومتر. ينظر: الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، جـ٨، ص١٧٣-١٧٨.

(١) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١١٩-١٢٠.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: السويكت، سليمان عبدالله. **منهج المسعودي في كتابة التاريخ،** (جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، ص٥٣-٦٨.

(٣) هو أحد علماء النصارى اليعاقبة، كان متفلسفاً جدلاً نظاراً، له كتاب عن (تاريخ ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم). المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٤٨.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٤٨-١٤٩ ؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مجـ١، جـ٢، ص١٧٧.

(٥) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٧٨.

(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٤٩ ؛ سزكين، فؤاد. **تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي)**، ترجمة: محمود فهمي حجازي، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،١٤١١هـ- ١٩٩١م)، مجـ١، جـ٢، ص١٧٧.

الذهبي[١] وابن حجر[٢] وغيرهما[٣] بالمسعودي بأنه كان مؤرخ وجغرافي ذو مكانة علمية كبيرة.

ويعد المتخصصون المسعودي أكثر الجغرافيين العرب أصالة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٤]؛ لذا هناك عدد كبير من الدراسات العربية والاستشراقية التي تناولت المسعودي وكتبه بالبحث والدراسة والتحليل[٥].

ويرى كراتشكوفسكي[٦] بأن المسعودي لم يكن عالماً بحاثة ولا متخصصاً في الجغرافيا أو التأريخ بل كان أديباً قبل كل شيء وناشراً للمعارف على منهج الجاحظ مع ميل أكثر نحو الجدية ونحو الأسلوب القصصي. فهو قاصّ ماهر، وفي كتابه الذي يغلب عليه التأريخ وهو (مروج الذهب) استطاع أن يظهر لنا أفضل تصوير للحياة الاجتماعية والثقافية في عصر الخلافة . وفي هذا الكتاب فصول يغلب عليها الطابع الجغرافي، مثال ذلك: ما كتبه عن البحار والأنهار، وقبائل العرب والكرد والترك والبلغار، وعن دور العبادة عند جميع شعوب العالم خاصة في القوقاز. وطريقة ملاحظاته عن هجرات القبائل وعن الهند وعن الزنج . وأن الفصل الذي أفرده المسعودي للصقالبة أصبح موضوعاً

(١) محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، جـ١٥، ص٥٦٩.

(٢) أحمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). **لسان الميزان**، عناية: عبدالفتاح أبو غدة وسلمان عبدالفتاح أبو غدة، (دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، جـ٥، ص٥٣٢.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ٣، ص٤٥٦ الموسوي، محمد بن باقر (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م). **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، (الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، جـ٤، ص٢٧٤.

(٤) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٧٧؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص٣٨،٣٧ .

(٥) سزكين، تاريخ التراث العربي، مجـ١، جـ٢، ص١٧٨-١٨٠؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص٣٦-٣٩ .

(٦) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٨١.

لبحث مستقل قام به المستشرق شارموا[١] سنة ١٢٥٠ه/ ١٨٣٤م ولبحث آخر للمستشرق ماركفارت[٢] في أوائل القرن العشرين.

وعدّ بروكلمان[٣] المسعودي بأنه أشهر كُتَّاب عصره جميعاً وأكثرهم علماً ومعرفة. وتوفي المسعودي في مصر[٤] والنجاشي[٥] ذكر أن المسعودي توفي سنة ٣٣٣ه/٩٤٤م مخالفاً بذلك ما جاء في كتب التراجم.

من مؤلفاته[٦]: (أخبار الزمان من الأمم الماضية والأحوال الخالية)، وكتاب(مروج الذهب ومعادن الجوهر[٧] في تحف الأشراف والملوك[٨] وأسماء القَرَابات[٩]) وهذا الكتاب جغرافي - تاريخي يدخل ضمن التواريخ العالمية، وكتاب(الفهرست)[١٠]، وكتاب (ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور)، كتاب (الرسائل)، كتاب (الاستذكار لما مرَّ في سالف الأعصار)، كتاب (التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم)[١١]. وكتاب(التنبيه والأشراف)[١٢] نشره

(١) شارموا أو شارموي (١٢٧٢-١٣٩٣هـ/١٨٥٥-١٩٧٣م) مستشرق فرنسي، تتلمذ على يد المستشرق دي ساسي وهو الذي رشح شارموي لتدريس اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج فدرَّس شارموي فيها الفارسية سنة١٣٣٨هـ/١٩١٩م ونال أوسمة عديدة وانتخب عضوا في كثير من المجامع الاستشراقية، من مؤلفاته: (تاريخ المغولي جنكيز خان)، و(أثر المسعودي وبعض كتاب الإسلام بالسلافية القديمة). ينظر: يحيى، معجم أسماء المستشرقين، ص٧٢١-٧٢٢.

(٢) مستشرق ألماني(١٢٨٠-١٣٤٠هـ/١٨٦٤-١٩٣٠م) من مؤلفاته: (السلاح العربي في شمال إفريقيا)، و(الجغرافيون العرب). ينظر: العقيقي، المستشرقون، جـ٢، ص٤١٤؛ يحيى، معجم أسماء المستشرقين، ص١٠٠٤.

(٣) تاريخ الأدب العربي، جـ٣، ص٥٦.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٤٩ ؛ سزكين، تاريخ التراث العربي، مجـ١، جـ٢، ص١٧٧.

(٥) أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م). **فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشتهر بـ (رجال النجاشي)**، (شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص٢٤٤.

(٦) ذكر النجاشي مؤلفاته وهي: كتاب(المقالات في أصول الديانات)، وكتاب(الاستبصار)، وكتاب(الزلف)، وكتاب(سرّ الحياة)، وكتاب(نشر الأسرار)، وكتاب(الصفوة في الإمامة)، وكتاب(الهداية إلى تحقيق الولاية)، وكتاب(المعالي في الدرجات والإبانة في أصول الديانات)، (رسالة إلى ابن صَعْوة المصيصي). رجال النجاشي، ص٢٤٣.

(٧) النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٣.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٤، ص١٧٠٦.

(٩) ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٣، ص٤٧٥.

(١٠) النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٣.

(١١) ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٣، ص٤٧٥ ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٤، ص١٧٠٦.

(١٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٤، ص١٧٠٦.

المستشرق دي خويه في لندن سنة١٣١١ه /١٨٩٤م[١]. ويرى كراتشكوفسكي[٢] بأن كتاب(التنبيه والأشراف) يعكس مادة جغرافية بالمعنى الصحيح. وكتاب(خزائن الملك وسرُّ العالمين)[٣]. وكتاب(القضايا والتجارب) الذي وصف فيه رحلاته لكن هذا الكتاب من الكتب المفقودة التي لم تصل إلينا[٤].

ظهور المصنفات الجغرافية الوصفية[٥] إبان القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في حاضرة الثقافة العباسية كانت تدعوا إليه ضرورة علمية؛ إذ كانت الحاجة ماسة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تربط أقاليم الدولة الإسلامية بعضها ببعض، وكان القائمون على الجهاز الإداري للدولة يطلبون هذه المعلومات لأغراض إدارية وسياسية . كذلك كان من الضرورة معرفة محطات القوافل على طريق الحج الموصلة إلى مكة. وكانت مادة هذه الأوصاف الخاصة بطرق المسافرين متوافرة إلى حد ما في دواوين الدولة تكملها أوصاف الرحالين. ومن أمثلة ذلك في زمن البحث كتاب (المسالك والممالك) لابن خُرَّدَاذبه(ت٣٠٠هـ/٩١٣م)[٦].

وابن خرداذبه هو مؤرخ وجغرافي فارسي الأصل من أهل بغداد، كان جده خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة. وكان والده والياً على طبرستان. واتصل عبيدالله بالخليفة المعتضد بالله، فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل، وجعله من ندمائه[٧]. ولأول مرة في عهد الخليفة المقتدر بالله يُضاف إلى عمال

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، مجـ١، جـ٢، ص١٨٣. وترجمه إلى الفرنسية المستشرق كارادي فو في مدينة باريس سنة١٣١٤ه /١٨٩٧م، وترجمه إلى اللغة الأوردية عبدالله العمادي في مدينة حيدر آباد سنة ١٣٤٤ه/١٩٢٦م، ثم نشره مرة أخرى عبدالله إسماعيل الصاوي في القاهرة سنة١٣٥٧ه/ ١٩٣٨م. سزكين، تاريخ التراث العربي، مجـ١، جـ٢، ص١٨٣.

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٧٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٤، ص١٧٠٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٢١، ص٦ ؛ الزركلي، خيرالدين. **الأعلام**، (دار العلم للملايين، بيروت ، ط ١٤٢٣،١٥هـ- ٢٠٠٢م)، جـ٤، ص٢٧٧.

(٤) جمال، الجغرافيا عند المسلمين، ص١٢١.

(٥) للاطلاع أكثر عن الجغرافيا الوصفية يمكن الرجوع إلى: جمال، الجغرافيا عند المسلمين، ص٢٧-٣٨.

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون، مجـ٢، ص١٦٦٥. اختلف في اسمه كما اختلف في تاريخ وفاته فمنهم من قال – حاجي خليفة وكراتشكوفسكي- بأن اسمه: أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة، وأنه توفي سنة٣٠٠هـ/٩١٣م. ومنهم من قال – ابن النديم وياقوت الحموي والزركلي – بأن اسمه أبو القاسم عبيدالله بن أحمد بن خُرَّدَاذْبَه وبأن وفاته كانت سنة٢٨٠هـ/٨٩٣ م. ينظر: الفهرست، مجـ٢، جـ٣، ص٤٥٧-٤٥٨؛ معجم الأدباء، جـ٤، ص١٥٧٣-١٥٧٤ ؛ كشف الظنون، مجـ٢، ص١٦٦٥؛ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٥٥ ؛ الأعلام، جـ٤، ص١٩٠.

(٧) ابن النديم الفهرست، مجـ٢، جـ٣، ص٤٥٧-٤٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٤، ص١٥٧٣-١٥٧٤ ؛ الزركلي، الأعلام، جـ٤، ص١٩٠.

البريد تسمية " أصحاب البُرد والخرائط"[١]. ويعد كتابه (المسالك والممالك) من الكتب الوصفية في الجغرافيا الإقليمية، ساعده في تصنيف هذا الكتاب طبيعة عمله السابق ذكرها، وربما جاء تأليفه لهذا الكتاب بناء على طلب الخليفة المعتضد بالله ذلك منه[٢].

أشاد كراتشكوفسكي بالقيمة العلمية لكتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبه، فقد بدأ كتابه وفقاً للتقليد المعروف بالمعلومات المعهودة من محيط الجغرافيا الرياضية خاصة وصف شكل الأرض واتجاه القبلة بالنسبة لكل بلد، وكرَّس قسماً كبيراً للحديث عن سواد العراق فيذكر تقسيمه الإداري وأنواع الضرائب التي تجبى منه، مع إيراد ملاحظات عن تاريخها في هذا القسم وفي مواضع أخرى من الكتاب؛ ويمكن على ضوء هذه التفاصيل وضع ميزانية الدولة العباسية لذلك العهد. ويختتم المؤلف هذا القسم بتعداد الملوك القدماء من الفرس والروم والترك والصين. أما القسم الرئيسي من الكتاب فيشمل وصف الطرق، فيبدأ بالطرق التي تخرج من بغداد شمالاً إلى آسيا الوسطى وجنوباً إلى الهند، ثم يصف الطريق البحري إلى الهند والصين أما فيما يتعلق بالغرب فإنه يصف الطريق إلى الأندلس ويسهب في وصف الطرق المؤدية إلى بيزنطة[٣] .

وأسهمت الرحلات البحرية التجارية في تزويدنا بمعلومات جغرافية مهمة عن بلاد الهند والصين وغيرها من المناطق الآسيوية البعيدة عن الدولة الإسلامية، ولعل من أقدم الرحلات التي وصلت إلينا أخبارها هي رحلة نسبت إلى سليمان التاجر الذي قام بعدة رحلات إلى الهند والصين وكتب عن البلاد والشعوب التي زارها في كتاب(أخبار الصين والهند) سنة٢٣٧ه/ ٨٥١ م[٤]. وهذا الكتاب شاهد على عناية شديدة علمية كان يتصف بها التجار العرب في تزويدهم قراءهم من الشعوب العربية في تلك الفترة بمعلومات مهمة عن بلاد الشرق الآسيوية القاصية. وقد نشرت هذه الأخبار التي جاء بها سليمان أول ما نشرت سنة ٣٠٤ه/٩١٦م[٥] على يد أبي زيد الحسن بن عمر بن يزيد بن محمد

---

(١) الصابئ، أبي الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م). **كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٣٢١هـ- ١٩٠٤م)، ص٩٧.

(٢) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٥٥، ١٥٦.

(٣) ينظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك، (تحقيق: دي خويه)، ص٤-١٨٣؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٥٦-١٥٧.

(٤) ينظر: ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني(ت٣٤٠هـ/٩٥١م). **مختصر كتاب البلدان**، تحقيق: دي خويه، (مطبعة بريل، مدينة ليدن،١٣٠٢ه- ١٨٨٥م)، ص١١؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٤١-١٤٢.

(٥) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٣٨.

بن مزد بن ساسياد السيرافي[١] بعد أن أضاف أبو زيد السيرافي ملاحظاته إلى هذه الأخبار[٢] ويحتمل أنه أضاف إليها أيضاً أخباراً جمعها بنفسه وحققها في كتاب اسمه (سلسلة التواريخ). ويرى كراتشكوفسكي[٣] بأن اسم الكتاب لا يتناسب مع محتواه ويحتمل أنه دُلِّس من قبل آخرين في فترة لاحقة لعصر مؤلفه. كما أحاط به المستشرق فران(Ferrand) في مجموعة الرحلات والنصوص الجغرافية العربية والفارسية والتركية الخاصة بالشرق الأقصى والذي ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه ونشره في مؤلف من مجلدين[٤].

والظاهر أن أبا زيد السيرافي كان شخصاً ميسور الحال، ولم يكن هو نفسه قد مارس الرحلات، إلا أنه كان شغوفاً كل الشغف بجمع المعلومات من الرحالة والتجار وتسجيلها[٥]. وقد التقى به المسعودي سنة٣٠٣ه/٩١٥م بالبصرة وتبادل معه الكثير من المعلومات، ويحتمل أن المسعودي ناقش مع أبي زيد السيرافي بعض المسائل الجغرافية التي لم يتوصل إلى حل لها[٦].

وينفرد كراتشكوفسكي وبروكلمان بأنهما ذكرا أحد الجغرافيين الذين عاصروا الخليفة المقتدر بالله باسم سُهْراب – وبرر كراتشكوفسكي وبروكلمان هذا الاسم الغريب بأنه قد يكون اسماً منحولاً – وأن سُهْراباً قد ألّف كتاباً على نهج كتاب (صورة الأرض) للخوارزمي، ثم قام سهراب بنسب الكتاب الذي ألّفه إلى رجل مجهول يدعى ابن سرابيون، وهذا الكتاب هو(كتاب عجائب الأقاليم السبعة)[٧]. وقد نقل بروكلمان هذه المعلومات من مخطوطة وحيدة لهذا الكتاب موجودة بالمتحف البريطاني تحت فهرست(أول ٦٠٣/٢) . ويرى

(١) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١١٣.
(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٣٨.
(٣) ينظر: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٤٢. وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٢٢٥هـ/١٨١١م على يد المستشرق لانجلس(Langlos) ثم نشره المستشرق رينو(Reinaud) مع ترجمة باللغة الفرنسية سنة١٢٦٠هـ/ ١٨٤٥م. كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٤٢.
(٤) للاطلاع على بعض ما ذيله أبو زيد السيرافي على رحلة سليمان التاجر ينظر: حسن، الرحالة المسلمون، ص٢٣ – ٢٥.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١١٣؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٤٢.
(٦) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١١١-١١٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٤٢.
(٧) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، جـ١، ص١٠٣- ١٠٥؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤١.

بروكلمان[١] بأن سابيل (Seippel) أخطأ في ظنه بأن مؤلف هذا الكتاب هو الحسن بن بهلول الذي ترجم كتاب (عالم الطب ابن سرابيون) إلى العربية[٢].

ويمكن أن نستنتج مما سبق ذكره؛ أن المسلمين تميزوا بروح البحث والتمحيص والسفر والترحال، والمغامرة بركوب البحر بحثاً عن المعرفة، والتأكد من المعلومات الجغرافية النظرية التي كتبها أسلافهم؛ لتأكيد صحتها أو تصويبها، وبذلوا عناية خاصة بالمشاكل الجغرافية وبحثوا لها عن حلول، وهذا يدل على أن الاهتمام بالجغرافيا كان حياً نشطاً في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين.

وتعد رحلة ابن فضلان من الرحلات الجغرافية المشهورة، وقد نشرت هذه الرحلة لأول مرة بعناية المستشرق فرهن(Fraehn) في سنت بطرسبورج سنة١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م[٣]. ونشر المستشرق كراتشكوفسكي أصل رسالة ابن فضلان مع ترجمة ومقدمة وملاحظات باللغة الروسية بعنوان(رحلة ابن فضلان إلى نهر الفولجا)[٤] ومن المؤرخين المحدثين الذين كتبوا عن هذه الرحلة، زكي محمد حسن[٥].

وسبب هذه الرحلة أن الصقالبة[٦] – وهم سكان الشرق في أوروبا- على أطراف نهر الفولغا[٧] – المعروفة ببلاد بلغار الفولجا[٨]- قد طلبوا عون

(١) تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤١.
(٢) تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤١.
(٣) حسن، الرحالة المسلمون، ص٢٨.
(٤) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤٢.
(٥) ينظر: الرحالة المسلمون، ص٢٦-٣١.
(٦) الصقالبة: مفردها صقلب وصقلبي وهي مشتقة من كلمة اسكلابوي البيزنطية وهو الاسم الذي أطلقه البيزنطيون على الشعوب السلافية حيث دأبوا على سبيهم وبيعهم، فكلمة سلاف تعني العبد أو المملوك، ومنهم أخذ العرب هذه التسمية، وهم شعوب تسكن بين جبال الأورال والبحر الأدرياتي في أوروبا الشرقية والوسطى، وتشمل كلاً من روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء وبولندا وتشيكيا وسلوفاكيا ويوغسلافيا وكرواتيا وصربيا ومقدونيا. ينظر: حسين، الموسوعة العربية الميسرة، جـ٤، ص٢٠٩٧-٢٠٩٨؛ المريخي، سيف شاهين . **العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين**، (مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قطر، العدد الرابع عشر، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، ص١٥٦-١٥٧.
(٧) الفولجا: نهر مساحته ٣٧٠٠كم، يقع غرب روسيا، وهو أطول أنهار أوروبا، ينبع من تلال فالداي بالقرب من موسكو ويصب في بحر قزوين، ويشمل حوض الفولجا نحو ثلث مساحة جمهورية روسيا. ينظر: حسين، الموسوعة العربية الميسرة، جـ٥، ص٢٤٨٢-٢٤٨٣.
(٨) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤١. والبلغار الشرقيون: شعب أوروبي كانت له دولة قوية بشرق روسيا الأوروبية بمحاذاة نهر الفولجا الأوسط من القرن الثاني الهجري–السابع الهجري/ الثامن الميلادي- الثالث عشر الميلادي، وعاصمته بلغارى بالقرب من قازان، أخضعه المغول سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، وانتقل فرع منه للغرب اندمج بصقالبة بلغاريا، وجمهورية بلغاريا =

الخلافة العباسية ومساعدتها وذلك في عهد الخليفة المقتدر بالله[١]. ويبدو أن هؤلاء البلغار كانوا حديثي عهد بالإسلام . فقد ذكر ابن فضلان أن مليكهم (ألمش بن يلطوار) طلب إلى الخليفة المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله؛ تفقهه في الدين وتعرِّفه شرائع الإسلام وتبني له مسجداً وتنصب له منبراً يُقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته، وسأله إلى ذلك أن يبني له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له[٢]. وهذا الأمر يدعو إلى الزهو من جانب الخلافة العباسية ببغداد ويوضح هيبة الخليفة، ويرسم مكانة السلطان في أوروبا آنذاك، وخاصة حين يستنجد به ملك لمملكة واسعة، ويسعى معه إلى حلف ثقافي ديني عسكري.

ويبدو أن الخليفة أو وزيره حامد بن العباس[٣] أو كلاهما معا ارتضيا هذه المعاهدة حين وفد رسول ملك الصقالبة يسعى لها وهو عبدالله بن باشتو الخزري[٤] وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلاً خزري الأصل، ولعلهم اختاروه لمعرفته اللغة العربية أو لثقتهم به وبحسن إسلامه.

وتقرر أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص برئاسة أحمد بن فضلان وعضوية سوسن الرسي مولى نذير الخرمي، وتكين التركي، وبارس الصقلابي، ومعهم دليل هو رسول الصقالبة وكان من ضمن الوفد فقيه ومعلم

=تقع في جنوب شرق أوروبا وعاصمتها صوفيا. ينظر: حسين، الموسوعة العربية الميسرة، جـ٢، ص٧٥٨-٧٦١.

(١) ابن فضلان، رسالة، ص٦٧.

(٢) ابن فضلان، رسالة، ص٦٧-٦٨. والمقصود بالملوك المخالفين له ملوك الخزر وهم من اليهود، كانوا يعتدون على الصقالبة ويفرضون عليهم الضرائب، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصباً، والخزري يهودي وابنة الصقلبي مسلمة . ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٤٥-١٤٦.

(٣) كان يتولى أعمال السواد، ثم وزر للمقتدر بالله، وكان كريماً مفضلاً، متجملاً، سريع الطيش، وزر عام ٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م، اشتغل بالتجارة ثم عظم شأنه، ولما ولي الوزارة كان في الثمانين من العمر، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا اللقب والخلعة، وكان المدبر للأمور علي بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل، وقتل حامد بن العباس سنة٣١١هـ/٩٢٣م على يد عامل مدينة واسط بأمر من الوزير علي بن محمد بن الفرات. ينظر: القرطبي، عريب بن سعد (ت بعد سنة٣٣١هـ/٩٤٢م). **كتاب الصلة (صلة تاريخ الطبري)**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، عن النسخة التي حققها المستشرق: دي خويه، (دار سويدان، بيروت-لبنان، د.ت)، جـ١١، ص٦٨-٦٩،٧٣،٧٧-٨٦،٩٢-٩٣،٩٧،٩٨ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٦٨-٢٦٩ ؛ متز ، آدم(ت ١٣٣٥هـ/١٩١٧م). **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، (دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٥، د. ت)، جـ١، ص١٨٩-١٩١.

(٤) لم أجد له ترجمة.

وغلمان[١]. ويبدو أن اثنين من أعضاء هذا الوفد البغدادي يعرفان اللغة الروسية كما يظهر من اسميها وهما سوسن وبارس[٢]، أما تكين فهو تركي الأصل وبالتالي فهو يجيد لغات الأتراك التي يمر هذا الوفد ببلادها في طريقه إلى الفولغا[٣]، وأما الرابع فهو أحمد بن فضلان فهو فيما تُعلمنا الرسالة يجهل اللغات الأجنبية، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشريعة الإسلامية، وإليه فيما ذكر البحث رئاسة الوفد، فهو في كل الظروف يأمر وينهى ويقرر الرحلة أو البقاء، وهو نفسه يقول: " فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه، وتسليم الهدايا والإشراف على الفقهاء والمعلمين"[٤]. وقد فعل ذلك[٥].

وقد عَلِمَ البحث من الرسالة أن تموين هذه الرحلة ونفقاتها ونفقات بناء الحصن هو من خراج ضيعة معينة من ضياع ابن الفرات الوزير السابق[٦]. وقد حمل الوفد فيما حمل (أدوية) كان ملك الصقالبة طلبها من نذير الخرمي الذي يبدو أنه كان تاجراً[٧]، وهذه شهادة على تقدم الدولة العباسية، وغنى حضارتها، ووفرة الأدوية عندها، وفقدانها في بلاد البلغار آنذاك.

وعن وصف هذه الرحلة، فقد رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١صفر سنة٣٠٩ه/ ٢١يونيو٩٢١م وظل يصعد شرقاً وشمالاً ماراً بإقليم الجبال، فهمذان فالري[٨]، وعبر نهر جيحون فبلغ بخارى ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١٢محرم سنة ٣١٠ه/ ١١ مايو سنة٩٢٢م فاستغرقت رحلته أحد عشر شهراً في الذهاب، لاقى خلالها مصاعب كثيرة وأهوالاً مذهلة، وصفها ابن فضلان بعد عودته إلى بغداد وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء[٩]. ويرى بروكلمان[١٠] بأن هذه الرسالة تشتمل على أول وصف يعتمد عليه للبلاد التي زارها ابن فضلان؛ وذلك لما تتحلى به من قدرة كبيرة على الملاحظة وروح الموضوعية.

(١) ابن فضلان، رسالة، ص٦٨، ٦٩، ٨٧.
(٢) ابن فضلان، رسالة، ص١١٤.
(٣) ابن فضلان، رسالة، ص٨٩.
(٤) ابن فضلان، رسالة، ص٦٨.
(٥) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١١٤-١١٥.
(٦) ابن فضلان، رسالة، ص٦٨.
(٧) ابن فضلان، رسالة، ص٦٩ .
(٨) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٧٣-٧٤.
(٩) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٧٦.
(١٠) تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٤١-٢٤٢.

أما عن أهمية هذه الرحلة، تعد المعلومات التاريخية والجغرافية التي أوردها ابن فضلان في رسالته عن تاريخ روسيا في العصر الوسيط من المصادر المهمة والنادرة، فقد خص بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق. وقدّم عرضاً وصفياً تاريخياً للأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمناطق الواقعة في طريق رحلته، فقد ذكر العملة النقدية لبخارى وهي الدراهم وكيفية صناعتها ووزنها وأنواعها وقيمتها الشرائية مقارنة بالدينار(١). ووصف الدراهم الخوارزمية الصحيح منها والزائف، ولغة وعادات بعض المناطق في خوارزم وشدة البرودة فيها التي نتج عنها تجمد نهر جيحون، وعن ثروتها الحيوانية وطبيعة أسواقها وشوارعها، وأنواع الثياب والأقمشة في مثل هكذا أجواء شديدة البرودة (٢)؛ لذا لم يستطيعوا استكمال سفرهم إلا بعد انقضاء فصل الشتاء وحلول فصل الصيف وذلك في يوم الاثنين الثاني من شهر ذي القعدة سنة٣٠٩ه/ الرابع من شهر مارس سنة٩٢٢م بعد أن اصطحبوا معهم دليلاً من أهل الجرجانية(٣) وواصلوا رحلتهم في بلاد الترك، وكعادة الرحلات فإن رحلتهم لم تخلو من الطرافة والنكت(٤). وقام ابن فضلان بتسجيل ملاحظاته الجغرافية عن أغلب المناطق التي مرَّ بها فيما وراء نهر جيحون وقبائل تلك المناطق البدوية التي تدين بالوثنية(٥) وطبيعة حياتهم اليومية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية(٦) واستعرض الأنهر التي مرَّ بها أثناء رحلته في بلاد الترك(٧).

وبعد ذلك تحدث عن وصوله إلى بلاد الصقالبة في يوم الأحد ١٢ من شهر المحرم سنة ٣١٠ه/١٢ مايو سنة ٩٢٢م - وهو الهدف من هذه الرحلة - وعن استقبال ملك الصقالبة بنفسه له ولبقية أعضاء الوفد العباسي بالترحيب والثناء والشكر لله على وصولهم سالمين، ثم مكث الوفد العباسي في ضيافة ملك الصقالبة أربعة أيام حتى جمع ملك الصقالبة الأمراء والقادة وأعيان بلده ليسمعوا قراءة كتاب الخليفة العباسي(٨)، فلما حضروا قرأ ابن فضلان الكتاب عليهم وهم واقفون على أقدامهم، وبعد أن انتهى من قراءة الكتاب كبّر

(١) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٧٩.
(٢) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٨٢، ٨٣، ٨٥-٨٧.
(٣) الجُرْجانية: اسم لعاصمة إقليم خوارزم ، وهي مدينة عظيمة على شاطئ نهر جيحون، خربها التتار. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٢، ص١٢٢-١٢٣.
(٤) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٨٦، ٨٨، ٨٩ ،٩٠.
(٥) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٩٠-٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٢، ص٢٤؛ الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر، ص١٦، ١٧؛ الإصطخري، المسالك والممالك، (تحقيق: دي خويه)، ص٩.
(٦) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص٩٢-١٠٣ ، ١٠٧-١١٠.
(٧) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٠٤-١٠٧ ، ١١٠.
(٨) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١١٣.

الحاضرون تكبيرة ارتجت لها الأرض من شدة قوتها. ثم قرأ عليهم كتاب الوزير حامد بن العباس وهم قائمون[١] ثم طلب منهم ابن فضلان بالجلوس، فجلسوا عند قراءة كتاب نذير الحرمي، فلما انتهى من قراءة الكتاب نثر أصحابه عليه الدراهم الكثيرة. ثم قدّم ابن فضلان الهدايا المرسلة معه من الخليفة العباسي ووزيره إلى ملك الصقالبة وزوجته[٢].

وقام ابن فضلان مدة إقامته في بلاد الصقالبة بشرح وتوضيح عدد من المسائل الفقهية[٣] للملك ولرجال الدين في البلاد، منها كيفية الدعاء لملك الصقالبة من على منابر المساجد[٤] وكان المؤذن يثني الإقامة إذا أذّن، فأخبره ابن فضلان أن الإقامة تفرد لا تثنى[٥]. وأورد ابن فضلان قصصاً خيالية حصلت معه أو رويت له أثناء إقامته ببلاد الصقالبة[٦]، وقدم معلومات جغرافية[٧]، واقتصادية[٨]، واجتماعية[٩] عن تلك البلاد.

أما عن مشاهداته في بلاد الروس، قدَّم وصفاً عن حياتهم الاجتماعية والاقتصادية[١٠] . كما فعل ذلك في وصفه لبلاد الخزر[١١].

(١) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١١٤.
(٢) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١١٥.
(٣) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٢١-١٢٢، ١٣٥.
(٤) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١١٧-١١٨.
(٥) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٢٠.
(٦) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٢٣-١٢٤، ١٤١-١٤٢.
(٧) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٢٥-١٢٧، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١.
(٨) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٢٧-١٣٠، ١٤٥.
(٩) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٣٠-١٣٨ ، ١٤٣-١٤٤. أما عن زيارة ابن فضلان لبلاد الروس فقد أبدى ياقوت الحموي تعجبه وشكه من أن يكون ابن فضلان قد زارها. وأن ياقوت الحموي نقل ما أورده ابن فضلان من معلومات عن بلاد الروس حرفياً كما جاءت في رسالته، وأن صحة تلك المعلومات من عدمها يقع في ذمة راويها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجـ٣، ص٧٩، ٨٣.
(١٠) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٤٩-١٦٦.
(١١) ينظر: ابن فضلان، رسالة، ص١٦٩-١٧٢.

الخاتمة:

- كان للرحلات العلمية العربية الإسلامية أثرها المتميز في نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى بلاد البلغار والمناطق المجاورة لها – وهي مناطق نائية عن مركز الخلافة العباسية - وتعد رحلة ابن فضلان التي قام بها سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م إلى بلاد البلغار رسولاً من الخليفة العباسي المقتدر بالله مرجعاً لا نظير له في الأهمية ألقت أضواءً على المرحلة التي زار فيها تلك البلاد، استجابة لطلب ملك البلغار. وكان إسلام البلغار الذي سبق هذه الرحلة حدثاً عظيماً في تاريخ المنطقة آنذاك؛ لأن حوض الفولجا الأوسط تحوَّل إلى قطر إسلامي بعدها. انتشر الإسلام في بلاد البلغار على المذهب الحنفي، وهو مذهب الخلافة العباسية ومذهب معظم أتراك آسيا الوسطى، ودخلت دولة البلغار في حوزة الحضارة العربية الإسلامية مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولما كان الإسلام يحمل نظماً حضارية راقية، فإن اعتناق البلغار له جعل منهم أكثر شعوب أوروبا الشرقية حضارة؛ مما أدى إلى زيادة الصلات بين البلغار والعالم الإسلامي في شتى المجالات، وصارت دولة البلغار ممثلة للإسلام في شرق أوروبا، فأنشأت المساجد وأسس القضاء، وانتشرت الأسماء والكلمات العربية انتشاراً واسعاً.

- شهدت الدراسات الجغرافية في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين عدة اتجاهات، فمنها ما اهتم بالجغرافيا التاريخية(علم تخطيط البلدان)، ومنها ما اتجه إلى ما نسميه اليوم بالجغرافيا الاقتصادية أو إلى ما نطلق عليه الجغرافيا السياسية(استراتيجية المكان من حيث القوة أو الضعف)، ومنها ما فصّل الكلام عن نظام البريد في عصر الخلافة، ونظام الضرائب في كل منطقة، إضافة إلى ذلك اهتمت بعض الدراسات بالمناخ وغيره من العوامل الطبيعية وهو ما يعرف الآن بالجغرافية الطبيعية، ودراسات أخر اهتمت بالمناجم والمعادن وهو ما نسميه اليوم بالجغرافيا الجيولوجية وقد بسط البحث كل ذلك بالتفصيل.

- ويلاحظ أن كثير من الجغرافيين في هذا العصر – مدة البحث- هم مؤرخون في الوقت نفسه مثل البلخي والمسعودي، بينما اشتمل كثير من المصنفات التاريخية على فصول مهمة في الجغرافيا. ويتبين أنهم كانوا يدركون الفارق بين هذين النوعين من التأليف إدراكاً واضحاً، على أن هذا الاتصال بين التاريخ والجغرافيا ظل قائما حتى في المؤلفات الجغرافية ذاتها التي كانت تكتب بأسلوب يتفاوت من كاتب لآخر. وقد نُقِلت هذه المعلومات من موارد متعددة؛

فالشعر العربي القديم أعطى تصوراً ما للأحوال الجغرافية لجزيرة العرب، واهتم اللغويون في مؤلفاتهم بضبط الأماكن التي وردت فيها. ثم ظهرت كتب الفتوح التي أوردت معلومات جغرافية واقعية عن المناطق التي فتحها المسلمون، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب الفتوح لابن أعثم (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) والذي ذكر فضائل المدن والبلدان المختلفة مثل المدينة وبيت المقدس والشام ومصر واليمن، ووصفاً جغرافياً لها وأبرز المناطق فيها. ومن الكتب المفيدة في علم الجغرافيا كتب الخراج وأورد البحث نماذج منها.

- من المسائل المهمة التي تمثل أحد ملامح أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين خاصة والعصر الإسلامي عامة ظاهرة تداخل العلوم فيما بينها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عرض كراتشكوفسكي لنماذج من كتاب(الزيج الصَّابئ) للبتاني– وهو عبارة عن جداول فلكية- تتعلق بالجغرافيا الوصفية قدّم فيه وصفاً عاماً للأرض ويختص بالتفصيل عن البحار والجزر.

- نشطت حركة التأليف الجغرافي في بغداد وما حولها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فقامت نتيجة لذلك مدرسة جغرافية مؤسسها أبو زيد البلخي عرفت بـ(المدرسة البلخية) مؤلف كتاب(صور الأقاليم) أو يسمى(كتاب الأشكال) ، وهو في أساسه كتاب خرائط . ولعل هذا الكتاب أقدم كتاب أطلس إسلامي. ويشمل هذا الأطلس في تسلسل منظم مصورات أو خرائط للعالم والجزيرة العربية ولبحر فارس والمغرب ومصر والشام وبحر الروم، كما يشمل أربعة عشر مصوراً آخر لأنحاء من أواسط العالم الإسلامي وشرقه . وكتاب (مسالك الممالك) الذي صنفه الاصطخري المعروف بالكرخي في حدود سنة٣٢٠ه/٩٣٢م نسخة موسعة من كتاب أبي زيد البلخي السابق ذكره . وقد أصبح كتاب أبي زيد الأساس الذي أقام عليه الجغرافيون من بعده كتبهم. واعتمد الاصطخري الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) في تصنيف مؤلفيه: (كتاب الأقاليم) و(المسالك والممالك) على رحلاته لطلب العلم والمعرفة في الآفاق الإسلامية وعلى ما نقله عن كتاب(صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي. وقد وضح الاصطخري كتابه الأول بالخرائط.

- من أبرز جغرافي أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين: القاضي وكيع الذي تطرقت مؤلفاته للجغرافية الوصفية أو علم الخرائط وهو ما يسمى حديثاً بـ(أطلس) وتناولت أيضاً الجغرافية الطبيعية. ومنهم: أبو دلف الخزرجي صاحب كتاب(عجائب البلدان). ولعل أشهر الجغرافيين هو المسعودي، واستعرض البحث رحلاته التي قام بها في بلاد فارس والهند

وسريلانكا واتجه إلى جنوب شرق آسيا فزار بعض جزر إندونيسيا وماليزيا ثم زار الصين وعاد عبر بحر الصين إلى عمان وزار اليمن ثم غادرها إلى حلب وأخيراً عاد إلى العراق. وقد أورد معلومات قيمة حول تلك البلاد والبلاد الإسلامية الأخرى التي لم يزرها من مصادر مفقودة لا نجدها إلا عند المسعودي. ويعد المتخصصون المسعودي أكثر الجغرافيين العرب أصالة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . وقد تطرق البحث إلى مؤلفاته.

- نشرت لأول مرة سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م أخبار الرحلات التجارية البحرية التي قام بها التاجر سليمان إلى الهند وبلاد أقصى آسيا التي وثقها في كتابه(أخبار الصين والهند) على يد أبي زيد السيرافي بعد أن أضاف أبو زيد السيرافي ملاحظاته إلى هذه الأخبار ويحتمل أنه أضاف إليها أيضاً أخباراً جمعها بنفسه وحققها في كتاب سماه (سلسلة التواريخ). وقد التقى به المسعودي سنة٣٠٣هـ/٩١٥م بالبصرة وتبادل معه الكثير من المعلومات، ويحتمل أن المسعودي ناقش مع أبي زيد السيرافي بعض المسائل الجغرافية التي لم يتوصل إلى حل لها.

- تميز الجغرافيون المسلمون بروح البحث والتمحيص والسفر والترحال، والمغامرة بركوب البحر بحثاً عن المعرفة، والتأكد من المعلومات الجغرافية النظرية التي كتبها أسلافهم؛ لتأكيد صحتها أو تصويبها، وبذلوا عناية خاصة بالمشاكل الجغرافية وبحثوا لها عن حلول، وهذا يدل على أن الاهتمام بالجغرافيا كان حياً نشطاً في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين.

قائمة المصادر والمراجع

[1] أحمد فؤاد باشا. التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، مصر، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
[2] ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م). كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١،١٤١١هـ-١٩٩١م.
[3] الإصطخري، أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي(ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري). المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبدالعال، مراجعة: محمد شفيق غربال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٣٨١هـ -١٩٦١م.
[4] نفسه، المسالك والممالك، تحقيق: دي خويه، دار صادر، بيروت- لبنان، (د. ت)،عن نسخة مطبعة بريل، ليدن،١٣٠٧هـ-١٨٨٩م.
[5] بدوي، عبدالرحمن. موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
[6] بروكلمان، كارل (ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م). تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة ، ط٥،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
[7] ابن تغري بردي، أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
[8] الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
[9] جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
[10] حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧ هـ/١٦٥٧م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،(د.ت).
[11] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). لسان الميزان، عناية: عبدالفتاح أبو غدة وسلمان عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
[12] حسن، زكي محمد. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان،١٤٠١ه-١٩٨١م.

[13] حسين محمد نصار وآخرون. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
[14] حميدة، عبدالرحمن. أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
[15] ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م). كتاب صورة الأرض، دار صادر، بيروت، (د. ت)، مطبعة بريل، ليدن، ط٢، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.
[16] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ/١٠٧١م). تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطّانِها العلماءِ من غير أهلها وواردِيها (تاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
[17] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
[18] الزركلي، خيرالدين. الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
[19] ابن الساعي، علي بن أنجب(ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م). الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشى، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٣٠- ٢٠٠٩م.
[20] السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م). طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.
[21] سزكين ، فؤاد. تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي)، ترجمة : محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
[22] السويكت، سليمان عبدالله. منهج المسعودي في كتابة التاريخ، (جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٧ه-١٩٨٦م.
[23] شريف، م. م. الفكر الإسلامي منابعه وآثاره (مآثر المسلمين في مجال الدراسات العلمية والفلسفية)، ترجمة وتعليق وإضافة: أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية لأحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
[24] الشمري، محمد كريم إبراهيم. الحوار العربي الإسلامي مع شرق أوروبا وتأثيراته من خلال رحلة أبي حامد الغرناطي، مجلة العميد للأبحاث

والدراسات الإنسانية، كربلاء- العراق، العددان الأول والثاني، شهر رمضان ١٤٣٣هـ/ شهر أيلول ٢٠١٢م.
[25] الشويخات، أحمد مهدي محمد وآخرون. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
[26] الصابئ، أبي الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م). كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٣٢١هـ- ١٩٠٤م.
[27] صالحية، محمد عيسى. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤١٥ه-١٩٩٥م.
[28] الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت ٧٦٤ه/١٣٦٣م). الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
[29] العقيقي، نجيب. المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٥،١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
[30] ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد. رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة٣٠٩ه /٩٢١م، تحقيق وتعليق وتقديم: سامي الدهان، المطبعة الهاشمية، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٩ه-١٩٦٠م.
[31] ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني(ت٣٤٠هـ/٩٥١م). مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي خويه، مطبعة بريل، مدينة ليدن،١٣٠٢ه- ١٨٨٥م.
[32] فوك، يوهان. تاريخ حركة الاستشراق- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة: عمر لطفي العالم،دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢،١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
[33] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
[34] القرطبي، عريب بن سعد (ت بعد سنة ٣٣١ه/٩٤٢م). كتاب الصلة (صلة تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، عن النسخة التي حققها المستشرق: دي خويه، دار سويدان، بيروت-لبنان، (د.ت).
[35] كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفتش(ت١٣٧٠ه/١٩٥١م). تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الدول العربية، القاهرة ،١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

[36] متز ، آدم(ت ١٣٣٥ه/١٩١٧م). الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٥، (د. ت).
[37] محمد كرد علي. كنوز الأجداد، مقال في: مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٦٦ه-١٩٤٦م.
[38] المريخي، سيف شاهين. العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قطر، العدد الرابع عشر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
[39] المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).التنبيه والإشراف، طبعة جديدة منقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
[40] نفسه، مروج الذهب ومعادن الجوهر، عناية ومراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
[41] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١،١٣٠٠هـ- ١٨٨٣م.
[42] الموسوي، محمد بن باقر (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م). روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
[43] النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م). فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشتهر بـ (رجال النجاشي)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
[44] ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). كتاب الفِهْرِسْت ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
[45] ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
[46] نفسه، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
[47] يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين،(د. م)، (د. ت)، مكتبة د. محمد أحمد الكامل الإلكترونية، (منزل من الرابط التالي: www.kotobarabia.com).
[48] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(ت بعد سنة٢٩٢هـ/٩٠٤م)**.** كتاب البلدان، نشره: أنطونيو موتشلينسكي، مطبعة بريل، ليدن،١٢٧٧ه-١٨٦٠م.